٦٤٦
٥٠١٦/٤/١١

أفكار غيَّرت العالم

٢٠

شارل ديجول
رجل الأوقات الصعبة

بقلم:
د. منال القاضى

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة
سعيد عبده مصطفى

كتب أطفال وناشئة
سلسلة أفكار غيرت العالم

تصميم الغلاف:
سارة شريف

تم التنفيذ بمركز زايد للنشر الإلكترونى
بدار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل -
القاهرة - جمهورية مصر العربية

القاضى، منال.
شارل ديجول رجل الأوقات الصعبة / بقلم: منال القاضى.
القاهرة: دار المعارف، 2016.
20 ص، 19.5 سم (أفكار غيرت العالم، 20)
تدمك 9 8305 02 977 978
1 - السياسيون الفرنسيون.
2 - دى جول، شارل، 1890 - 1970.
(أ) العنوان.
تصنيف ديوى: 923.344
رقم الإيداع: 2468/ 2016
رقم أمر التشغيل: 28/ 2015/ 7
رقم الكونجرس: 0 - 840029 - 01 - 2

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف.

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مَنْ هوَ شارل ديجول؟

- وُلِدَ «ديجول» عام ١٨٩٠م فى مدينةِ ليل.
- أعلنَ قيامَ فرنسا الحرَّة حينَ وقعتْ معظمُ الأراضِى الفرنْسيَّة فى يدِ الألمانِ فى الحربِ العالميَّةِ الثَّانيةِ.
- قادَ عمليةَ تحريرِ فرنسا من الألمانِ.
- تولَّى رئاسةَ فرنسا مرتيْنِ (١٩٤٤م - ١٩٤٦م) و(١٩٥٨م - ١٩٦٩م) وفى المرتيْنِ قدَّمَ استقالتَه.
- ماتَ عام ١٩٧٠م فى مدينةٍ صغيرةٍ اسمُها كولمبى لدوإجليز.

منْ أقوالِ شارل ديجول المأثورة:

- لا يُعطَى المجدُ إلَّا لمن يحلُمُ بهِ دومًا.
- رجلُ السِّياسةِ الحقُّ هو ذلكَ الَّذى على استعدادٍ للمخاطرةِ.

احْتشـدتِ الْجموعُ، وانطلقتِ الْأعيرةُ النَّاريةُ فرحًا فى سماءِ باريس، الرجالُ والنساءُ والأطفالُ كانوا هناك لتحيَّتِه.

إحدى الفتياتُ تَصيحُ: «أفْسِحوا لى أريدُ رؤيتَه».

صوتٌ يقولُ: «ها هوَ».

صوتٌ آخر: «إنَّه يلوِّحُ بيديْه للجموع».

تَسْألُ عجوزٌ ضَعُفَ بصرُها: «كيفَ يبْدو؟».

تصفُ الْفتاةُ: «فارعٌ وبشوشٌ، وسيمٌ بزيِّه العسكرىِّ».

تقولُ العجوزُ: «كنتُ أسمعُ صوتَه فى الْمذياع، يؤكدُ أن فرنسا حرَّةٌ ولن تستسلمَ».

تضحكُ الفتاةُ: «لقد صَدَقَ».

يَبْتهجُ وجهُ الْعجوزِ، وهى تقول: «كنتُ خائفةً أن أموتَ قبلَ أن أرى هذا».

يصيحُ الْجميعُ: «تعيشُ فرنسا حرَّةً».

كان «ديجول» يتقدَّم فى شوارع باريس ويُحيىِّ الْجماهيرَ، كان يتأمَّلُ معالمَ باريس، لقدِ اشْتاق إلى فرنسا، وها هو يعودُ إليها.

تركَهـا والعارُ يلطِّخُهـا، ولكنَّه كانَ واثقًا أن هـذا لنْ يدومَ، وأنَّها سَتتحرَّرُ ذاتَ يومٍ من الألمانِ الَّذين يقودُهم «هتلر».

كان يقولُ: «فرنسا خُلِقتْ لتكونَ جميلةً وحرةً».

والآنَ تحقَّقتْ نبوءتُه، حصلتْ فرنسا على حرِّيتِها عام ١٩٤٤م، وفى نفسِ العام، اتَّفقتْ جميعُ القوى الوطنيَّةِ على اختيارِه ليقودَ فرنسا فى الْمرحلةِ الانْتقاليَّةِ.

ولكن قبلَ هذهِ اللحظةِ الْحاسمةِ والسَّعيدةِ، عانتْ بلادُه.

لم ينس هذا أبدًا، لا يجبُ أن ينْسى سنواتِ الكفاحِ ومعَهُ شرفاءُ فرنسا.

يشعرُ كأنَّه استيقظَ من كابوسٍ.. ولكن كيفَ بدأَ؟!

اندلعتِ الْحربُ العالميَّة الثَّانيةُ عام ١٩٣٩م.

«هتلر» يكتسحُ أوروبا. كان الْفرنسيُّون يتابعونَ ما يحدثُ ولكن دونَ شعورٍ بأنَّ الخطرَ قريبٌ، فلن يجرؤَ أحدٌ على غزوِ فرنسا، حقًّا بلدُهم يمرُّ بمرحلةٍ من الضَّعْفِ، ولكن فرنسا أكثرُ من مجردِ بلدٍ. إنَّها امبراطوريَّةٌ يخضعُ لها العديدُ من المستعمراتِ.

ولكن «هتلر» لمْ يكن يفكرُ بنفسِ الطَّريقةِ، فالألمانُ فى نظرِهِ أعظمُ شعوبِ العالمِ، وفرنسا لن تكونَ عقبةً فى طريقِ جيوشِهِ.

ربما كانتْ فرنسا عظيمةً ذاتَ تاريخٍ، ولكنَّ طموحَهُ بلا حُدودٍ.

اجْتاحتِ الْجيوشُ الألمانيَّةُ الأراضىَ الفرنسيَّة، سقطتْ باريس فى أيْدى «هتلر».

كانَ «ديجول» فى ذلكَ الوقتِ قائدًا فى الجيشِ الْفرنسىِّ، حاولَ التَّصدَّى للجيشِ الْألمانىِّ المنظَّمِ والْخَطيرِ، ولكن دونَ جدْوى.

فى تلكَ الأثناءِ كان هناكَ اسمٌ يتردَّدُ إنَّه «المارشالُ بيتان» أحدُ أبطالِ فرنسا فى الْحربِ العالميَّةِ الْأولى، ولكنَّه بعد ما حدث لمْ يعدْ كذلك، لقد أصابَه ما أصابَ بِلادَهُ منِ انْكسَارٍ.

لقد شاخَ وحُلْمُه هو ماضيه، لمْ يكنْ باسْتطاعتِه أن يرى مستقبلًا، الواقعُ معتمٌ وخيارُ التَّعاونِ مع الْألمانِ لا مفرَّ منه.

«بيتان» المحاربُ الْقوىُّ كان عجوزًا فى ذلكَ الوقتِ، قال له عقلُه:

«الألمانُ أقوياءُ ولو لم أفعلْ ذلك سيُدمِّرونَ باريس».

أقامَ حكومةً فرنسيَّةً بموافقةِ الْغزاةِ فى مدينةِ فيشى.

رفضَ «ديجول» من منفاهُ الاختيارىِّ فى لندن حكومةَ «فيشى»، ووجَّه خطابًا إلى الفرنسيينَ من هناكَ، بصوتِه الواثقِ، وعباراتِه الْبليغَةِ، أكَّد أن فرنسا خسرتْ معركةً، ولكنَّ الْحربَ مستمرةٌ، ولا يمكنُ لبلدٍ لَهُ تاريخٌ مثلِ بلادِه أن يخسرَ الحربَ، دعا الْفرنْسيين إلى المقاومةِ ورفضِ الْواقع، ورفضِ حكومةِ «فيشى» برئاسةِ «المارشال بيتان»، ومن ثم أعلن قيامَ فرنسا الحرَّةِ.

سمعَ الْفرنسيونَ ما قالَه «ديجول»، اخْترقْت كلماتُه قلوبَهم، حلَّقت بهمُ الْأحلامُ الْحلْوة.

كانوا يخاطبونَ أنفسَهم:

«كيفَ تتحقَّقُ كلماتُ ديجول؟».

ولكنَّهم كانوا يفيقونَ، فلا يجدونَ إلَّا كابوسًا مريرًا، أغلبُ الأراضى الفرنسيَّة فى يدِ الألمانِ، وباريسُ لم تعدْ كما كانتْ مدينةَ النورِ، ويستقرُّ داخلَهم:

«لا أملَ.. الجنرالُ «ديجول» شريفٌ ووطنىٌّ ولكن لا أَملَ».

لم ييأسْ «ديجول»، كانَ يرى بلادَه وقد تحرَّرتْ واسْتعادتْ كرامتَها.

قامَ بتدريبِ وإعدادِ المقاومةِ، وفى عام ١٩٤٣م أثمرَ كفاحُه واتَّحدتْ جميعُ الْقوى الْفرنسيَّةِ الْمُناهضةِ للاحْتلالِ، كان لكلٍّ مِنْهم أفكارُه ولكنَّهم اجْتمعوا على هدفٍ واحدٍ وهوَ تحريرُ فرنسا، وتمَّ إنْشاءُ المجلسِ القومىِّ للمقاومةِ وكان «ديجول» رئيسًا لهذا المجلسِ.

وأنْشأَ حكومةً مؤقَّتةً فى الجزائر. وقدِ اعْترفَ بها «تشرشل» رئيسُ وزراءِ بريطانيا.

نالتْ فرنسا استقلالَها عام ١٩٤٤م. ووجدَ «ديجول» نفسَه فى قلبِ الْمشهدِ.

لقد حَلُمَ فــى وقتٍ فقدَ فيه كثيرونَ قدرتَهــم على الْحُلْمِ. كان يريدُ المستحيلَ، وها هو ينالُه.

ابْتسـمَ «ديجول» ابتسـامةً كبيرةً وواصلَ التَّقدمَ وسطَ الحشود الَّتى تجمَّعتْ لتحيتِهِ.

كان فى تلكَ اللحظةِ بطلَ فرنسـا، والشَّـخصَ المناسبِ لقيادةِ الْمرحلةِ الانتقاليَّةِ.

تولَّى «ديجول» مهمَّتَه الصَّعبةَ عام ١٩٤٤م.

كان يقـرأُ الوجوهَ فى الشَّـوارعِ والْميادين وكلِّ قريـةٍ أو بَلْدةٍ فرنسـيَّةٍ، هناك جروحٌ ورغبةٌ فى التَّطهيرِ.. هناكَ غضبٌ ورغبةٌ فى مُحاكمةِ كلِّ من تعاونَ مع الألمانِ.

عُقِدَتِ الْمحاكماتُ الشَّـعبيةُ والْمحاكماتُ الرَّسميَّةُ. كان حكمٌ بالإعْدام يصدرُ كلَّ لحْظةٍ، فأُعْدِمَ الآلافُ، وكانَ «ديجول» يتدخَّلُ أحيانًا لَتخفيفِ بعضِ الأحكامِ.

فعلَ هذا مع «المارشـالِ بيتان» الَّذى رأسَ الحكومةَ الفرنسيَّة فى فيشـى، فبدَّلَ الحكمَ بالإعْدامِ إلى السَّجنِ مدى الْحياةِ.. فعلَ هذا مع آخرين.

وأخيرًا توقَّفَ شلالُ الدَّم. ودخَلتْ فرنسا مرحلةً جديدةً.

حُلْمُ «ديجول» كالعادةِ بدأ يتحقق، وأدْخلَ الفرنسيين فى حُلْمِهِ، وقالَ:

«لا بدَّ أن يُحدِّد الشَّعبُ ما يريدُ».

كان يعرفُ أن فرنسا عانتْ من ضَعْفٍ عَسْكرىٍّ وسِياسىٍّ أدَّى إلى ما حَدَثَ.

قالَ الشَّعبُ:

«السَّببُ فى ضعفِ فرنسا هو دُسْتورُها، نريدُ دُسْتورًا جديدًا».

سألَ «ديجولُ» الشَّعبَ:

«منْ يضعُ الدُّستورَ؟».

أجابَ الشَّعبُ:

«مجلسٌ نيابىٌّ مُنتخَبٌ».

تأكَّد «ديجول» أن تلكَ مطالبُ الشَّعب فى الاسْتفتاء الَّذى أجراه عام ١٩٤٥م. وشرعَ فى تنْفيذِها.

ولكنَّ الطَّريق لَمْ يكنْ ورديًّا، وأدركَ أنَّ السِّياسةَ الَّتى كانتْ بالنِّسبةِ إليه أحْلامًا حلوةً يريدُ تحقيقَها لبلادِهِ، لَمْ تكنْ كذلكَ بالنِّسبة لآخرين.

هنـاكَ من يجيدُ اللعبَ بمشـاعرِ الْجماهيـر، ويختارُ كلماتٍ رنَّانةٍ ولكنَّه فى النِّهايةِ يريدُ تحقيقَ مكاسبَ فرديةٍ.

هكذا بدا له كثيرونَ من أعضاء المجلسِ النيابىِّ المُنتخَبِ.

وبعد كثيـرٍ من الْمناوشـاتِ، أدركَ «ديجول» أنَّـه لن يحقِّق غايتَه، فقرَّر تقديمَ اسْتقالتِهِ، وحدثَ هذا عام ١٩٤٦م.

ولكنَّ «ديجول» لم يكنْ شـخصًا عاديًّا، كانَ له أنصارٌ كثيرونَ، كان رمزًا لكثيرٍ من الْفرنسيِّين.

وتحتَ ضغطِ مُؤيِّديه قرَّر إنشاءَ حزبٍ، يكونُ وسيلتُه للتَّعبيرِ عن رؤيتِهِ. وبالفعلِ أنشأ حزبَ (تَجمُّع الشَّعبِ الفرنْسىِّ).

ابتهجَ الفرنسـيونَ وأعطى كثيرونَ أصواتَهم لحزبِ «ديجول» فى الانتخاباتِ الَّتى تلتْ.

وكانَ «ديجول» صريحًا وواضحًا والسِّياسةُ تحتاجُ إلى مراوغةٍ، فلمْ يحصلْ حزبُه على نسـبةٍ كبيرةٍ فى الانْتخاباتِ النِّيابيةِ الَّتى أجريتْ عام ١٩٥١م، فقرَّرَ «ديجول» التوقُّفَ والانسحابَ.

لقد قدَّم لفرنسا الكثيرَ ولكنَّه شعرَ أن ذلكَ هو وقتُ الرَّاحةِ.

كانَ يَحْلـمُ أن يقضىَ بقيةَ حياتِـهِ فى بلدةٍ هادئةٍ، اخْتارَ بلدةً صغيرةً اسمُها كولمبى ووجدَها المكانَ المثالىَّ بالنسبةِ إليهِ.

حاولَ أنصارُه أن يثنوه فكانَ يطمئنُهم، قائلا:

«لقد خرجتْ فرنسا من النَّفق المظلم، لا تنْزعِجوا مِمَّا يحدثُ من مناقشاتٍ واخْتلافاتٍ وألْعابٍ سياسيَّة. لن تعودَ فرنسا إلى الوراءِ».

ظلَّ كلَّ صباحٍ يتأمَّلُ الطَّبيعة حولَه، ويحاولُ أن يسْتمتعَ بالأشياءِ الْبسيطةِ مِثل ارتشافِ الشَّاى على مَهْلٍ، ومتابعةِ الطُّيورِ الْمحلِّقةِ فى الْفضاءِ، والاسْتمتاعِ بالهدوءِ.

لقد أدى ما عليهِ، أو هكذا ظَنَّ.

* * *

جلسَ «شارل ديجول» بشرفةِ منزلِهِ وإلى جوارِه زوجتُه «ايفون»، فقالتْ لَهُ:

«لقد قررتَ الابْتعادَ ولكنَّ فرنسا تحتاجُ إليكَ الآنَ».

استغرقَ «ديجول» فى التفكيرِ، فليستْ هذهِ فرنسا الَّتى تمنَّاها، لقد فشلَ الدُّستورُ الَّذى تمَّ وضْعُه فى تحقيقِ الأمنِ والاستقرارِ لبلادِهِ.

تَمْتمَ بِصوْتٍ عالٍ:

«كما توقَّعتُ».

أيَّدته «ايفون»:

«أجلْ كما توقعتَ، فرنسا تنهارُ».

قالَ فى أسَى:

«كنتُ أتمنَّى أن تخيَب توقُّعاتى، ولكنَّ فرنسا تواجِهُ مشاكلَ كبيرةً فى الدَّاخلِ والخارجِ».

قالتْ:

«المستعمراتُ فى آسيَا وأفريقيا تريدُ الْحريَّةَ».

أكملَ «ديجول» حديثه:

«تونس والمغرب اسْتقلتا بالفعلِ عام ١٩٥٦م، والجزائرُ أيضا تريدُ الحريَّة».

أعطتْه «ايفون» الْجريدةَ.. قائلة:

«هلْ قرأتَ تصريحاتِ وزيرِ الخارجيَّة؟». أوْمَأَ، ورد عليها:

«قرأتُها. إنَّه يقولُ إن فرنسا لا يمكنُ أن تتركَ الجزائرَ لأنَّ فرنسا هى الجزائرُ».

صمتَ قليلاً، ثُمَّ قالَ:

«وهناكَ عُدْوانُ فرنسا بالاشْتراكِ مع إنجلترا وإسرائيل على مصرَ، لقد خسرتْ فرنسا بتحالفِها هذا، وهزيمتُها فى فيتنام كانتْ مَهينةً».

سألتْ:

«وماذا سَتفْعلُ؟».

أطرقَ «ديجول» طويلاً، وقال:

«لا بدَّ أن أفعلَ شيئًا».

توجَّه «ديجول» بكلمةٍ إلى الشَّعبِ الْفرنسيِّ فى ١٥ مايو ١٩٥٨م، قال فيها إنَّه يتابعُ ما يحدثُ وإنَّه مستعدٌ لتحمُّلِ الْمسئوليةِ مرةً أخرى، كَىْ تصلَ فرنسا إلى برِّ الأمانِ.

تولَّى «شارل ديجول» رِئاسةَ فرنسا مرةً أخْرى، وقامَ بِوضْعِ دُستورٍ جديدٍ لها، وأُجرى استفتاءٌ شعبىٌّ، فوافقَ على الدستورِ الجديدِ غالبيةُ الفرنسيينَ.

فحصَ بعينِ خبيرٍ الْمشكلةَ الجزائريَّةَ وأدركَ أن الجزائريين سوفَ ينالونَ الاستقلالَ آجلاً أم عاجلاً.

كانتْ تجربتُه فى تحريرِ فرنسا أثناءَ الْحربِ العالميَّةِ الثَّانيةِ خيرَ مُرْشدٍ لَهُ، لقد آمنَ أنَّ فرنسا حرةٌ، كانَ الْوقوفُ فى وجهِ «هتلر» بجيوشِهِ الجرارةِ مستحيلاً، ولكنَّه أدركَ أن هناك قوةً تفوقُ قوةَ الْبنادقِ والرَّصاصِ.. إنَّها إرادةُ الشَّعبِ والرَّغبةُ فى الحريَّةِ وتقريرِ المصيرِ.

كانتِ الشُّعوبُ الْعربيَّةُ والأفريقيَّةُ تتيقَّظ وتتقدَّمُ فى ثباتٍ نحوَ حقِّها فى حياةٍ حرَّةٍ، إذا شعبٌ أرادَ، فلن يوقفَه التَّعذيبُ والاعْتِقالُ وإراقةُ الدِّماء، كانت تلكَ هى سياسةَ جنرالاتِ فرنسا فى الْجزائر وكان «ديجول» يُدْرِكُ أنَّها سياسةٌ فاشلةٌ.

وكانَ هناكَ فرنسيونَ متطرِّفون لا يوافقونَ على استقلالِ الْجزائر، وكانوا يَرَوْنَ فى «ديجول» الجسرَ الَّذى سوفَ تعبرُ عليهِ الجزائرُ إلى الْحريَّةِ لهذا رَأَوْا فى التَّخُّلصِ من «ديجول» إجهاضًا لهذا الْحُلْم.

تعرَّضَ «ديجول» للعديدِ من محاولاتِ الاغتيالِ، ولكنَّه نَجا منها جميعًا، وفى إحدى تلك المحاولاتِ كانتْ زوجتُه مَعَهُ.

صرخْت فى رهْبةٍ:

«ما هذا؟».

حاولَ «ديجول» تهدِئتَها:

«إنَّها الكراهيةُ.. كراهيةُ الحقِّ والحريَّةِ».

لم تستطعْ «ايفون» نسيانَ ما حدثَ، أُصيبتْ بالأرقِ، وكانتْ تستيقظُ فزعةً كلَّ لَيْلةٍ فقط لتطمئنَّ أن «ديجول» إلى جانبِها. وكان يحاولُ طمأنتَها فى كلِّ مرةٍ ويهمسُ:

«لا تخافى علىَّ من الموتِ إذا اقترنَ ذلك بالشَّرفِ، لا قيمةَ للحياةِ إذا قضاها المرءُ جبانًا وخالفَ ما يؤمنُ بِهِ، فقط لأنَّ هناك مَنْ يهدِّدُه».

وكانت تقْتنعُ بما يقولُ.

ذاتَ ليلةٍ استيقظتْ ولم تَجدْهُ بحثتْ عنه فى كلِّ مكانٍ، وجدتْه فى الشُّرفةِ جالسًا فى هدوءٍ مُحدِّقا فى النُّجومِ.

اقتربتْ منه فى رقَّةٍ وقالتْ:

«ألمْ تنمْ بعدُ؟».

انْتبه «ديجول» وقالَ:

«كنتُ أراقبُ النُّجومَ».

أفسحَ لها، فجلست إلى جوارِهِ، فقالَ:

«تُرى كيفَ سترانى الأجيالُ القادمةُ؟».

ابْتسمتْ:

«أنتَ تعرِفُ».

قالَ:

«أبدًا أبدًا.. أنا أفعلُ ما فى وِسْعى ولكن لا أعرفُ الإجابةَ».

سألتْه:

«أنت قلقٌ بشأن الْغدِ».

قالَ:

«تقصدينَ الاسْتفتاءَ الَّذى سوفَ يتم إجْراؤه فى فرنسا والْجزائر بشأنِ استقلالِ الْجزائر؟ ستقولُ الشُّعوبُ كلمتَها غدًا».

قالتْ:

«أنتَ دائمًا تثقُ فى رأى الشَّعبِ».

قالَ:

«نعم لقد كانتِ الْمفاوضاتُ الَّتى أُجريتْ مع جبهةِ التَّحرير الجزائريَّةِ صعبةً ولا بدَّ أن نحتكمَ إلى المواطنين».

ضحكتْ:

«والآنَ إلى الرَّاحةِ».

ألقى نظرةً خاطفةً إلى النُّجومِ وتبعها إلى الدَّاخلِ.

***

أُجرى استفتاءٌ فى الجزائر وفرنسا فى يوليو ١٩٦٢م ووافقَ الشَّعبانِ على حقِّ الْجزائر فى الاسْتقلالِ.

هَمَسَ فى أُذنِ زوجتِهِ:

«هذا وقتُ الْمصالحةِ، يجبُ أن تتصافحَ الشُّعوبُ الْكبرى مع الشُّعوبِ الصُّغرى دونَ وصايةٍ، هكذا يعمُّ السَّلامُ العالمَ».

نالتِ الْجزائر استقلالَها، وواصلَ «ديجول» مسيرتَه الإصْلاحيَّةَ فى فرنسا، فعدَّل فى الدُّستورِ الفرنسىِّ، وجعلَ الشَّعب ينتخبُ الرَّئيسَ مباشرةً، وكانَ «ديجول» أولَ رئيسٍ مُنْتَخَبٍ عام ١٩٦٥م.

كان «ديجول» مؤثرًا بأفكارِه فى البلدانِ الْمحيطةِ.

لم يكن يحلمُ لبلدِه فقط، كان يحلمُ لأوروبا، ويتمنَّى أن يأتىَ اليومُ الَّذى تتَّحدُ فيه البلدانُ الأوروبيَّةُ.

وفى عهدِهِ تم إنشاءُ السوقِ الأوروبيَّة المشتركةِ، كما حدثتْ فى فرنسا طفرةٌ اقتصاديَّةٌ، فتطورتِ الصِّناعةُ، وانخفضَ معدَّل البطالةِ، وزادَ الإنتاجُ الزراعىُّ.

ابتسمَ «ديجول» سعيدًا، وهو يرى فرنسا تتعافى وتتقدَّم الصُّفوفَ، لقد تحقَّقَ حُلْمُه.

***

قرَّر «ديجول» أن يمضى أجازتَه بين الورودِ والأشجارِ، وكانَ هناك العديدُ من الأفكارِ الَّتى تخطرُ لَه، وهو يتجوَّلُ فى المساحاتِ الْخضراءِ.

فكَّر، قائلا لنفسه:

«ماذا بعدُ؟».

أنصتَ إلى تغريدِ بلبلٍ وشعرَ بالسَّعادةِ..

«لا يوجدُ سقفٌ للحُلْم».

تنهَّدَ، فقد خطرَ له خَاطرٌ لم يتوقعْه.

«إسرائيلُ غاضبةٌ مِنِّى لأنَّنى ساندتُ الْعربَ».

لـم يكن يريدُ التَّفكيـرَ فى أمورٍ جادَّةٍ، فهو فـى أجازةٍ ولكنِ انْسابت الأفكارُ فى رأسِهِ.

«لقد اسـتعادتْ فرنسـا مكانتَها الآنَ كدولةٍ كُبرى ويجبُ أن تساندَ الْحقَّ».

تجـوَّل بين الأشـجارِ وعقلُه يؤكِّـدُ لَهُ: «الحقُّ أن تنسـحبَ إسرائيلُ من الأراضى العربيَّة الْتى احتلَّتْها عام ١٩٦٧م».

تأمَّـلَ زهرةً بريَّةً وخطرتْ له أمريكا هذه المرةَ، إنَّه لا يوافقُ على سياستِها ويكرهُ محاولاتِها الدائمةَ للسَّيطرةِ. قالَ لنفسِهِ:

«وأمريكا أيضًا تتحرَّكُ مثل غولٍ يريدُ أن يأكلَ العالمَ، ستخسرُ معركتَها فى فيتنام، لقد حذرتُ، حقًّا فيتنام دولةٌ صغيرةٌ ولا توجدُ مقارنةٌ بين امكانياتِها وامكانياتِ الأمريكان ولكنَّ الحربَ ليستْ أسـلحةً وعتادًا فقط.. الحربُ تحسـمُها دائمًا إرادةُ الشُّـعوب».

خطرتْ له فرنسا فابتسمَ وخفقَ قلبُه، ما زال لديْهِ الكثيرُ.

***

كانتْ باريس صاخِبةً فى مايو ١٩٦٨م.

وكان الكلُّ يتساءلُ:

«ما الَّذى يحدثُ؟».

وتساءلَ «ديجول» أيضًا وأجابَه بعضُ أعوانِه:

«إنَّها مظاهراتٌ ينظِّمها الطُّلابُ».

شعرَ «ديجول» بالقلقِ، فطوالَ حياتِه كانتْ عينُه على الْجماهير، إنَّه مستعدٌ للرَّحيلِ فى أى وقتٍ إذا كانَ هذا مطلبَ الشَّعبِ.

ولكن فرنسا كانتْ تقِّدرُ «ديجول» ولقد أنقذَها من مآزقَ كثيرةٍ.

كانوا يعرفونَ أنَّه لا يطمعُ فى سُلْطةٍ أو منصبٍ، لقدِ انْسحبَ ببساطةٍ من قبلُ من الحياةِ السَّياسيةِ.

خرجتْ جماهير حاشدةٌ لتؤيدَه وتجمعوا عند قوسِ النَّصرِ.

أما المظاهراتُ الطُّلابيةِ فقد تضاءلتْ.

فكَّر «ديجول»:

«لا يكفى.. أريدُ أن أتأكَّدَ أكثر أن الجماهير تريدُنى».

حلَّ «ديجول» الجمعيَّةَ الْوطنيَّةَ وأجرى انتخاباتٍ عامةً، ففاز أنصارُه بأغلبيةِ المقاعِد النيابيَّةِ.

اطمأنَّ قليلاً، قائلا لنفسه:

«إذنِ الشَّعبُ يريدُ لنظامِه أن يستمرَّ».

قرَّرِ «ديجول» أن يُجْرِىَ بعضَ الإصلاحاتِ، وقالَ لمعاونيه:

«سأجرى استفتاءً عامًا على هذه الإصلاحاتِ».

اندهشَ معاونوه، فهوَ غيرُ مضطرٍ إلى ذلك، فقد أجريتِ انْتخاباتٌ نيابيَّةٌ منذُ فترةٍ وجيزةٍ، والشَّعبُ أعطى صوتَه لأنصارِ «ديجول».

أصرِ «ديجول»، وقال:

«سأُجْرِى استفتاءً وإذا لم يوافقِ الشَّعبُ بأغلبيةٍ فسأرحلُ».

أُجْرِىَ الاسْتفتاءُ عام ١٩٦٩م ولكن أغلبيةً طفيفةً لم توافِقْ على الإصلاحات، بنسبةِ ٥٢ ٪.

قدَّم «ديجول» استقالتَه وانْسحبَ من الحياةِ السياسيَّةِ.

* * *

تُوفِّى «ديجول» عام ١٩٧٠م فى مدينة كولمبى، بعد أن تركَ بصمتَه وضربَ مثلًا للسِّياسىِّ الَّذى يضعُ نبضَ الجماهير نُصْبَ عينيْه، وأثبتَ أنَّه كان رجلَ الأوقاتِ الصَّعبةِ.

ولهذا تحوَّل إلى رمزٍ ليس فقط لفرنسا ولكن لكلِّ سياسىِّ العالمِ.